

المسيبرنيستيك

مقال علمى للدكتور حامد طاهر

هذا المصطلح الأجنبي هو المنطق الفرنسى لعنوان علم حديث النشأة ولكنه أصبح ذا تأثير واسع فى حياتنا جميعا (Cybernetique) .
ويصعب ترجمته للعربية حاليا لكن معناه يدور حول التشغيل الذاتى أو الأتوماتى للألات ، سواء كانت ميكانيكية ضخمة كالجرارات ، أو فائقة الصغر كالتليفونات المحمولة أو كاميرات المراقبة .

وقد بدأ الحديث نظريا عن هذا العلم منذ سنة 1938 ، ثم أخذ يتطور عمليا بعد الحرب العالمية الثانية (1939 — 1945) وخاصة فى الولايات المتحدة الأمريكية ، بمساعدة فعالة من علماء بريطانيين وفرنسيين . وكلهم متخصصون فى مجالات الرياضيات والميكانيكا والفيزياء والإلكترونيات والاتصالات .. وهكذا
ت فى تكوين هذا العلم الوليد عدة تخصصات ، واتسع نطاق تطبيقاته على كافة المجالات . فهو الذى يشغل غسالة الملابس ، كما يحرك الروبوتات ، ويوجه الطائرات بدون طيار ..

وبالإضافة إلى التطبيقات العملية المصرفية للمسيير نيتيك ، فهناك بعض الأبحاث التي تمت وما زالت عن تطبيقات أخرى واعدة في مجال المقاربة مع عمل الأجهزة التي تدير جسم الإنسان مثل المخ والقلب والكبد والبنكرياس ، كما ان هناك آفاقا واسعة لتطبيقات مماثلة في الحياة الاجتماعية وخاصة في مجال مكافحة الجريمة ، وما يرتبط بذلك من تطوير القوانين .

وبالنسبة لي ، فقد تابعت ما كان ينشر في فرنسا عن نشأة وتطور وتطبيقات هذا العلم ، أثناء دراستي بجامعة السوربون بباريس في الفترة (1974 — 1981).

وأذكر أنني كنت أشتري بفرنكاتي القليلة بعض مؤلفاته الغالية . وعندما عدت من البعثة إلى مصر الحبيبة ، حاولت ترجمة أو نشر بعض المقالات التعريفية عن هذا العلم الجديد والذي كان فيما يبدو مجهولا تماما عندنا . لكن القائمين على الصحف وكذلك دور النشر لم يتقبلوا الموضوع وبالتالي لم يرحبوا به ، وهو الأمر الذي أحزنني وأحبطني وسد نفسي عن الكتابة فيه !

أما لماذا أكتب عنه اليوم ؟ فلأنني أنشره على الميسر بولك بدون رؤساء تحرير ولما ناشرين يتحكمون ، وثانيا وهو الأهم ما أصبحت أراه

من اكتساح منجزات هذا العلم لمعظم

مجالات الحياة فى العالم المتقدم ، وحين يأتى بعضها إلى بلادنا تثير الدهشة والاستغراب لدى أبنائنا ، دون أن يعرضوا أن هذه المنجزات لها أصول ووسائل ومناهج وخبرة وتدريبات إذا ما توصل إليها أي إنسان فى العالم أمكنه الإتيان بمثلها .

فمثلا نحن نتحدث كثيرا عن أهمية الإنتاج ، بل ضرورته ، لكن أى إنتاج نعى ؟ هل الإنتاج اليدوى البيط ١١ء المايقاع , والمقليل العائد ؟ أم الإنتاج المعتمد على الآلات التقليدية التى تتطلب جهدا بشريا فائقا فى تشغيلها ومتابعتها ، أم الأفضل من هذا وذلك أن نلجأ إلى علم السيبرنيتيك الذى يقدم لنا منتجات دقيقة جدا ووفيرة لكى تغطى حاجة المجتمع من ناحية ، وتنطلق من ناحية أخرى للتصدير إلى الخارج ؟!